

تعريف الإيجاز والإطناب والمساواة

كل ما يجول في الصدر من المعاني يمكن أن يعبر عنه بثلاث طرق:

- الإيجاز لغة: التقصير، واصطلاحاً: قصد اللفظ مع الوفاء بالمعنى أو يقال في تعريفه: هو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة وافية. كقوله تعالى: ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾.
- الإطناب لغة : الزيادة، وفي اصطلاح البلغاء : زيادة الألفاظ على المعاني لفائدة بلاغية. كقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾.
- المساواة: وهي تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له، بأن تكون على الحد الذي جرى به عرف أو ساط الناس، وهم الذين لم يرتقوا إلى درجة البلاغة، ولم ينحطوا إلى درجة الفهامة. قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا زَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾.

كما أنه إذا لم تف العبارة بالعرض سمي: (إخلالاً). كقول البشكري:

والعيش خير في الظلا ** ل النوك مقن عاش كذا

وإذا زاد على الغرض بدون داع سمي: (تطويلاً). كقول ابن مالك:

كذا إذا عاد عليه مضمر ** مما به عنه مبيناً يخبر

أقسام الإيجاز

إيجاز القصر

ويسمى إيجاز البلاغة، وذلك بأن يتضمن الكلام المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف، كقوله تعالى: (وإذا مزوا باللغو مزوا كراماً)، فإن مقتضى الكرامة في كل مقام شيء، ففي مقام الإعراض:

الإعراض، وفي مقام النهي: النهي، وفي مقام النصح: النصح، وهكذا.. وهكذا.. وكقوله تعالى ﴿- ألا له الخلق والأمر﴾.

إيجاز الحذف

وذلك بأن يحذف شيء من العبارة، لا يخل بالفهم، مع وجود قرينة. وقد حصر الحذف في اثني عشر شيئاً:

- الحرف، قال تعالى: (ولم أك بغياً)، أي: ولم أكن.
- الإسم المضاف، قال تعالى: (وجاهدوا في الله حق جهاده)، أي: في سبيل الله.
- الاسم المضاف إليه، قال تعالى: (وأتممناها بعشر)، أي: بعشر ليال.
- الاسم الموصوف، قال تعالى: (ومن تاب وعمل صالحاً)، أي: عملاً صالحاً.
- الإسم الصفة، قال تعالى: (فزادتهم رجساً إلى رجسهم)، أي: مضافاً إلى رجسهم.
- الشرط، قال تعالى: (فأثبعتوني يُحببكم الله)، أي: فإن أثبتعتوني يحببكم.
- جواب الشرط، قال تعالى: (ولو ترى إذ وقفوا على النار)، أي: لرأيت أمراً عظيماً.
- المسند، قال تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله)، أي: خلقهن الله.
- المسند اليه، كقوله: (قال لي كيف أنت؟ قلت: عليل)، أي: أنا عليل.
- المتعلق، قال تعالى: (لا يسئل عفا يفعل وهم يُسئلون)، أي عفا يفعلون.
- الجملة، قال تعالى: (كان الناس أمة واحدةً فبعث الله النبيين)، أي: فاختلفوا.
- الجمل، قال تعالى: (فأرسلون، يوسف أيها الصديق)، أي فأرسلوني الى يوسف لأقض عليه الرؤيا وأستعبره عنها، فأتاه، وقال: (يوسف...).

دواعي الإيجاز

دواعي الإيجاز كثيرة نشير الى بعضها:

- تسهيل الحفظ: ولذلك صار العلماء رحمهم الله يختصرون الكتب المطولة.
- تقريب الفهم: وربما إذا طال الكلام يُنسي آخزه أوله، فإذا صار قصيماً فهمه الإنسان.
- ضيق المقام: بأن يكون الإنسان عاجلاً، لا يستطيع التطويل؛ لأن المقام لا يقتضيه.
- الإخفاء: يعني: أنه يحذف بعض الأمور؛ إخفاء لها.
- سأمة المحادثة: وذلك يعني أن الذي تحداته سئم منك، وأنت تشعر بهذا، إذا أخذ يقول لك: كفى، فأنت تتحدث، وهو يقول: كفى، وأنت تسأله عن حاله وحال أولاده، وهو يقول لك: كفى، فهنا يحسن الإيجاز؛ ولهذا ينبغي إذا خاطبنا الناس الذين عندهم أشغال كثيرة ألا نطيل عليهم، بل نختصر لهم الحديث اختصاراً.

مواقع الإيجاز

مواقع الإيجاز التي يستحسن فيها كثيرة نذكر بعضاً منها: الشكر على النعم – الإعتذار – الوعد – الوعيد – العتاب – التوبيخ – التعزية – شكوى الحال – الاستعطف – أوامر الملوك ونواهيهم.

أقسام الزيادة

ينقسم الزائد على أصل المراد إلى ثلاثة أقسام:

(1) الإطناب، وهو تأدية المعنى بعبارة أكثر منه لغرض ما، كما تقدّم.

(2) التطويل، وهو تأدية المعنى بعبارة أكثر بلا فائدة، مع كون الزيادة في الكلام غير متعينة نحو قول العبادي:

وقدّدت الأديم لراهشيهِ ** وألّى قولها كذباً وميّنا

فإن (الكذب) و(المين) يمعنى واحد، ولا يتعين الزائد منها، لصلاحية كل منهما لذلك.

(3) الحشو، وهو تأدية المعنى بعبارة أكثر بلا فائدة، مع كون الزيادة متعينة في الكلام غير مفسدة للمعنى نحو قول الشاعر:

واعلم علم اليوم والأمس قبله ** ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي

فإن كلمة (قبله) زائدة لوضوح ان الأمس قبل اليوم.

أقسام الإطناب

للإطناب أقسام كثيرة:

(1) ذكر الخاص بعد العام، قال تعالى: (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى).

(2) ذكر العام بعد الخاص، قال تعالى: (ربّ اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيّتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات).

(3) توضيح الكلام المهم بما يفسّره، قال تعالى: (وقضينا اليه ذلك الأمر انّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين).

(4) التوشيع، وهو أن يؤتى بمعنى يفشره مفردان، كقوله (عليه السلام): العلم علمان: (علم الاديان وعلم الابدان).

(5) التكرير وهو ذكر الجملة أو الكلمة مرّتين أو ثلاث مرّات فصاعداً، لاغراض:

- للتأكيد، كقوله تعالى: (كلا سوف تعلمون ثمّ كلا سوف تعلمون).
- لتناسق الكلام، فلا يضره طول الفصل، قال تعالى: (إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)، بتكرير (رأيت) لئلا يضره طول الفصل.
- للإستيعاب، كقوله: (ألا فادخلوا رجلاً رجلاً...).
- لزيادة الترغيب في شيء، كالعفو في قوله تعالى: (إنّ من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم وأن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإنّ الله غفور رحيم).
- لاستمالة المخاطب في قبول العظة، كقوله تعالى: (وقال الذي آمن يا قوم اثّبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وانّ الآخرة هي دار القرار) بتكرير (يا قوم).
- للتنويه بشأن المخاطب، كقوله: (علي رجل رجل رجل...).
- للتريد حثاً على شيء، كالسخاء في قوله: قريب من الله السخيّ وأنه ** قريب من الخير الكثير قريب
- للتلذذ بذكره مكرراً، كقوله: علي وصي علي رضي ** علي تقبي علي نقبي
- للمح على الاجتناب، كقوله: (الحية الحية أهل الدار...).
- لإنارة الحزن في نفسه أو المخاطب، كقوله: (أيا مقتول ماذا كان جرمك أيا مقتول...).
- للإرشاد إلى الخير، كقوله تعالى: (أولى لك فأولى ثمّ أولى لك فأولى).
- للهويل بالتكرير، كقوله تعالى: (الحاقّة ما الحاقّة وما أمراك ما الحاقّة).

(6) الاعتراض، بأن يؤتى في أثناء الكلام بجملة لبيان غرض من الاغراض، منها:

- الدعاء، كقوله: ان الثمانين وبلّغتها ** قد أوحجت سمعي إلى ترجمان
- النداء، كقوله: كان يردون أبا عصام ** زبد حمار دق بالجام
- التنبيه على شيء، كفضيلة العلم، في قوله: واعلم فعلم المرء ينفعه ** ان سوف يأتي كل ما قدرا
- التنزيه، قال تعالى: (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون).
- المبالغة في التأكيد، قال تعالى: (ووضّينا الإنسان بالديه حملته أمه وهنأ على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير).
- الإستعطف، كقوله: ووجب قلب لو رأيت لهيبه ** ياجئتي لرأيت فيه جهنما
- التهويل، قال تعالى: (وأنّه لقسم لو تعلمون عظيم).

(7) الإيغال، بأن يختم الكلام بما يفيد نكتة يتم بدونها المعنى، قال تعالى: (ولله برزق من يشاء بغير حساب).

(8) التذييل، وهو أن يأتي بعد الجملة الاولى بجملة أخرى تشتمل على معناها وذلك لأحد أمرين:

- الأول: التأكيد:

1. وهو إما تأكيد المنطوق، قال تعالى: (وقل جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً).

2. وإما تأكيد المفهوم، كقوله: ولست بمستبق أحاً لاتلمّهُ ** على شعث أي الرجال المهذب؟. فقد دلت الجملة الاولى بعدم وجود الرجل الكامل فأكدّها بالجملة الثانية: أي الرجال المهذب؟

- الثاني: التذييل:

1. وهو إما يستقل بمعناه لجريانه مجرى المثل، كقوله: كلّمك أروغ من ثعلب ** ما أشبه الليلة بالبارحة.

2. أو لا يستقل، لعدم جريانه مجرى المثل، كقوله: لم يبق جودك لي شيئاً أوّمله ** تركتني أصحاب الدينا بلا أمل

(9) الإحتراس، وهو أن يأتي بكلام يوهم خلاف المقصود فيأتي بما يدفع الوهم، وهو على نحوين:

- قد يأتي به وسط الكلام، كقوله: فسقى ديارك غير مفسده ** صوب الربيع وديمة تهمي . فقد قال: (غير مفسده) دفعاً لتوهم الدعاء للمطر عامة حتى المفسد منه .
- قد يأتي به آخر الكلام، كقوله: حلّيم إذا ما الحكم زين أهله ** مع الحلم في عين العدو قهيب

(10) التتميم، وهو زيادة مفعول أو حال أو نحوهما، ليزيد حسن الكلام، كقوله: دعونا عليهم مكرهين وإنما ** دعاء الفتى المختار للحق أقرب .ف (مكرهين) يزيد حسن الكلام كما لا يخفى..

(11) تقريب الشيء المستبعد وتأكيدّه لدى السامع نحو قوله: (رأيتنه بعيني يفعل كذا) و(سمعته بأذني يقول كذا).

(12) الدلالة على الشمول والإحاطة، قال تعالى: (فخرّ عليهم السقف من فوقهم)، فإنّ السقف لا يخز إلا من فوق، لكن يذكره (من فوقهم) دلّ على الشمول والإحاطة.

موارد الإطناب

هناك موارد يستحسن فيها الإطناب، منها:

- الصلح بين الأفراد، أو الجماعات، أو العشائر.
- التهنئة بالشيء.
- المدح والثناء على أحد.
- الذمّ والهزاء لأحد.
- الوعظ والإرشاد.
- الخطابة في أمر من الامور العاقة.
- رسائل الولاة إلى الرؤساء والملوك.
- منشورات الرؤساء إلى الشعب.

أقسام المساواة

المساواة هي الأصل في تأدية المعنى المراد، فلا تحتاج إلى علّة، واللازم الإتيان بها حيث لا توجد دواعي الإيجاز والإطناب، وهي على قسمين:

- المساواة مع رعاية الاختصار، وذلك بتأدية المراد في ألفاظ قليلة الاحرف كثيرة المعنى، نحو قوله تعالى: (هل جزاء الاحسان إلا الإحسان).
- المساواة من دون اختصار، وذلك بتأدية المعنى المراد بلا رعاية الإختصار، نحو قوله تعالى: (كلّ امرئ بما كسب رهين)، وقوله سبحانه: (وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله)، ونحو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنما الاعمال بالنيات ولكلّ امرئ ما نوى). فإن الكلام في هذه الامثلة لا يستغنى عن لفظ منه، ولو حذفنا منه ولو لفظاً واحداً لاختلّ معناه، وذلك لأنّ اللَّفْظ فيه على قدر المعنى لا ينقص عنه ولا يزيد عليه.

الخلاصة

إن زاد اللفظ على المعنى، فهو إطناب، وإن كان المعنى أكثر، فهو إيجاز، وإن تساوى اللفظ والمعنى فهو مساواة، وهذا هو الأكثر في الكلام.

وإذا لم تكن في الزيادة فائدة، سمي تطويلاً إن كانت الزيادة غير متعينة، وحشوًا إن تعينت.